بحث فى علم الاشتقاق

لعبد الله افندى أمين

عرف كثير من العلماء : المتقدمين والمتأخرين علم الاشتقاق، و بينوا أقسامه ، واختلفوا فى تعريفه، وفى بيان أقسامه بعض الاختلاف ، وألف بعضهم فيه كتبا لم يبق منها إلا رسائل قليلة صغيرة ، ضاقت بمباحثه العويصة ذَرْعا ، وقصرت عنه بوعا ، وعُنِيتُ بدراسته منـذ أكثر من عشر سنين ، أيام كنت عضوا فى أحد المجـامع اللغوية المصرية ، ونشرت فيـه حينئذ كلمات فى صحيفة المعلمين فى سنتى ١٩٢٣ و ١٩٢٤ ولا أزال معنيا به للآن ، وجمعت مباحثه فى كتاب واحد . وإنى لأرجو أن أكون قد وفقت فى جمعها ولو بعض التوفيق . أما التعريف والأقسام والمباحث التى ارتضيتها فاليك بيانها بايجاز :

التعريف : الاشتقاق : أخذ كلمة من كلمة أو أكثر ، مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه فى اللفظ والمعنى .

الأقسام : أقسام علم الاشتقاق التى يشملها هـذا التعريف أربعة أقسام : صغير ، وكبير ، وكُبّار ، وكُبّار .

فالاشتقاق الصغير : هو انتزاع كلمة من كلمة بتغيير فى الصيغة ، مع تشابه بينهما فى المعنى، واتفاق فى الأحرف الأصلية وفى ترتيبها، مثل ضرب ، و يضرب، واضرب، وضارب، ومضروب، وضروب، وضرّاب، ومضرب، من الضرب .

والاشتقاق الكبير ، هو انتزاع كلمة من كلمة بتغيير فى ترتيب بعض أحرفهما ، مع تشابه بينهما فى المعنى : واتفاق فى الأحرف ، مثل : لكم ، وكلم ، وملك ، وكمل ، ويسمى قلبا .

والاشتقاق الكُبّار : هو انتزاع كلمة من كلمة بتغيير فى بعض أحرفهما مع تشابه بينهما فى المعنى ، واتفاق فى الاحرف الثابتة ، وفى مخارج الأحرف المغيرة أو صفاتها ، أو فيهما معا ، مثل : القرد والقصد ، والهرب والترب ، وعنوان الكتاب وعلوانه ، ويسمى إبدالا .

والاشتقاق الكُبّار : هو انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر ، مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه فى اللفظ والمعنى معا ، مثل : "عبشمى" من "عبد شمس" و"حولق" من " لاحول ولاقوة إلا بالله " ، ويسمى نحتا .

وهذه الأقسام الأربعة ليست سواء فى السهولة والصعوبة ، وإنما هى على وَفْق ترتيبها هنا ، أولها أسهلها ، ورابعها أصعبها ، فهى أسهل وسهل ، وصعب وأصعب ؛ ولذلك وصفت بالصغير والكبير والأكبر أو الكبار والكبار لأن الصغير أقل من الكبير ، والكبير أقل من الكُبار ، والكُبار أقل من الكُبّار .

وهناك قسم مقدم على هذه الأقسام فى الترتيب ، وهو "أصل المشتقات" ، فتكون أقسام هذا العلم خمسة ، وتحت كل قسم منها مباحث .

وسأوجز الكلام فى هذا المقال على هذا القسم ، وهو " أصل المشتقات " ، فأقول . :

القسم الأوّل

فى أصل المشتقات ، وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول — فى أن أصل المشتقات المصدر ، كما قال البصريون ، لا الفعل ، كما قال الكوفيون . وإذ كان الإمام الجليل : كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن ابن محمد بن أبى سعيد الأنبارى النحوى ، رضى الله عنه ، قد ساق فى المسألة الثامنة والعشرين ، فى الصفحة الثانية بعد المائة ، من كتابه المسمى " الإنصاف ، فى مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين " المطبوع

فى ليدن سنة ١٩١٣م، آراء البصريين والكوفيين فى أصل المشتقات، وموازن بينها، ولم يدع فيما جاء به مقالا لقائل، فإنى اكتفيت فى هذا المبحث بما كتب، ونقلته عنه وعوّلت عليه . وإنى لأرجو ممن يعنيهم الأمر الرجوع إليه .

المبحث الثانى — فى أن العرب اشتقت من أسماء المعانى، من غير المصادر، كما اشتقت من أسماء المعانى المصدرية، فاشتقوا من أسماء العدد، وهى أسماء معان جامدة اشتقاقا صريحا مطردا ؛ ففى لسان العرب "ويقال وَحَّده وأحَّده، كما يقال ثنّاه وثلّثه ل[1] — ٤ — ٤٦٢ — ٥ — ابن سيده : وحِد ووَحُد وَحادَة وحِدة ووَحْدا وتوحّد بقى وحده يطرد إلى العشرة عن الشيبانى — ل — ٤ — ٤٦٢ — ١٣". وفيه "وثنيته تثنية أى جعلته اثنين ل — ١٨ — ١٢٤ — ٤ من تحت . وإذا فعل الرجل أمرا ثم ضم إليه أمرا آخر، قيل ثنى بالأمر الثانى يثنى تثنية — ل ١٨ — ١٢٥ — ٣". وفى المخصص لابن سيده "ويقال ثَلَثْت القوم أثلِثهم ثَلْثا بكسر اللام : إذا كنت لهم ثالثا . أبو عبيد : كانوا ثلاثة فربعتهم، أى صرت رابعهم، وكانوا أربعة فخمستهم إلى العشرة، وكذلك إذا أخذت الثلث من أموالهم قلت ثلثتهم ثلثا . وفى الربع ربعتهم إلى العشر مثله . فاذا جئت إلى يفعل قلت فى العدد يثلث ويخمس إلى العشرة، وفى الأموال يثلث ويخمس إلى العشر، إلا ثلاثة أحرف فإنها بالفتح فى الحدين جميعا : يربع ويسبع ويتسع م[2] — ١٧ — ١٢٩ — ١ " . وفى اللسان "وعشرنت الشىء جعلته عشرين، نادر للفرق الذى بينه وبين عشرت — ل — ٦ — ٢٤٦ — ٣" . وفى المخصص "كانوا تسعة وعشرين فثلثتهم : أى صرت لهم تمام ثلاثين، وكانوا تسعة وثلاثين فربعتهم، مثل لفظ الثلاثة والأربعة . وكذلك جميع العقود إلى المائة، فاذا بلغت المائة قلت كانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم، مثال أفعلتهم . وكانوا تسعمائة وتسعة وتسعين فألفتهم ممدودة، وكذلك إذا صاروا هم كذلك قلت

---

(١) اللام : رمز لمعجم لسان العرب، والعدد الأول لرقم الجزء، والعدد الثانى لرقم الصفحة، والعدد الثالث لرقم السطر .

(٢) الميم : رمز للمخصص .

قد أمأوا، وآلفو ، مثال أفعلوا : أى صاروا مائة وألفا م — ١٧ — ١٢٩ — ١١".
ففى هذه النصوص إما نص صريح باطراد الاشتقاق من أسماء العدد ؛ و إما ضوابط للاشتقاق ، لا تكون إلا فى الشيء المطرد .

واشتقوا من أسماء الأزمنة ، وهى أسماء معان جامدة ، اشتقاقا صريحا ، يكاد يكون مطردا ، إذ قلما تجد اسم زمان لم تشتق العرب منه أفعالا ، ففى اللسان "وأخرف القوم دخلوا فى الخريف ، وإذا مطر القوم فى الخريف قيل قد خُرفوا ل — ١٠ — ٤٠٩ — ٨ من تحت" ، وفيه " وشتوت بموضع كذا وتشتيت أقمت به الشتاء ، وهذا الذى يشتينى أى يكفينى لشتائى ل — ١٩ — ١٤٩ — ٧" . وفيه " وأربع القوم : دخلوا فى الربيع ، وقيل أربعوا صاروا إلى الريف والماء ، وتربع القوم الموضع و به وارتبعوه أقاموا فيه زمن الربيع — ل — ٩ — ٤٦٠ — ٦ من تحت" ، وفيه "وأصاف القوم دخلوا فى الصيف، وصافوا بمكان كذا أقاموا فيه صيفهم وصفت بمكان كذا وكذا وصفته وتصيفته وصيفته — ل — ١١ — ١٠٣ — ٥ من تحت " ، وفيه " وأبجروا دخلوا فى الفجر، كما تقول أصبحنا من الصبح ل — ٦ — ٣٥١ — ٢ " ، وفيه " وأشرق القوم دخلوا فى وقت الشروق ، كما تقول أبجروا وأصبحوا وأظهروا — ل — ١٢ — ٤١ — ٧ من تحت " ، وفيه " وأظهرنا دخلنا فى وقت الظهر كأصبحنا وأمسينا فى الصباح والمساء ل — ٦ — ٢٠٠ — ٧ من تحت " ، وفيه " وأعصرنا دخلنا فى العصر ل — ٦ — ٢٥٢ — ٥ من تحت " ، وفيه " وآصلنا دخلنا فى الأصيل ل — ١٣ — ١٧ — ٣ " ، وفيه " وفى الحديث أنه عليه السلام كان فى سفر فاعتشى فى أول الليل أى سار وقت العشاء ، كما يقال استحر وابتكر ل — ١٩ — ٢٨٩ — ١٦ " ، وفيه " وساوعه مساوعة وسواعا استأجره الساعة أو عامله بها — ل — ١٠ — ٣٤ — ٢ " . وفيه : " وأيلوا دخلوا فى الليل ، ولايلته ملايلة وليالا استأجرته لليلة عن اللحيانى ، وعامله ملايلة من الليل ، كما تقول مياومة من اليوم — ل — ١٤ — ١٣٠ — ٨" . وهكذا إذا تتبعت جميع أسماء الأزمنة ، فقلما تجد منها اسما لم تشتق منه العرب أفعالا .

المبحث الثالث — فى أن العرب اشتقوا من أسماء الذوات كما اشتقوا من اسماء المعانى من المصادر ومن غيرها، فمن أسماء الذوات التى اشتقوا منها اشتقاقا صريحا أعضاء الجسم الظاهرة والباطنة، والاشتقاق منها مطرد، ففى لسان العرب "وأَذَنه أَذْنا فهو مأذون أصاب أذنه على مايطرد فى الأعضاء ، وأَذَّنه كأذنه ، أى ضرب أذنه ل — ١٦ — ١٤٩ — ٩ "، وفيه " ابن سيده : يدينه ضربت يده ، فهو ميدى ويُدِىَ : شكا يده على ما يطرد فى هذا النحو — ل — ٢٠ — ٣٠٣ — ١٦" ، وحسبنا هذان النصان دليلين على الاطراد، فتقول فى الرئة مثلا كما جاء فى اللسان : " ورأيته أصبت رئته ، وُرئى رأيا أشكى رئته غيره ، وأرأى الرجل إذا اشتكى رئته — ل ١٩ — ١٥ — ٣ من تحت "، وفى العين كما جاء فيه " والعين أن تصيب الإنسان بعين، وعان الرجل يعينه عينا فهو عائن، والمصاب معين على النقص ، ومعيون على التمام أصابه بالعين — ل — ١٧ — ١٧٦ — ٣ " ، وهكذا فى جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة للانسان والحيوان .

وأما فى غير الأعضاء من أسماء الذوات ، فالاشتقاق منها كثير كثرة يصدق عليه فيها أنه مطرد ، وقد نقلت عن كتب اللغة مئات الأسماء التى اشتقت العرب منها اشتقاقا صريحا ، وأكتفى فى هذا المقال بمُثُل قليلة، لضيق المقام، منها "وأبوت وأبيت صرت أبا ، وأبوته إباوة صرت له أبا — ل — ١٨ — ٨ — ٥ " و"المأبور من أبرته العقرب أى لسعته بابرتها — ل — ٥ — ٥٩ — ٧ من تحت" و"وتابط الشىء وضعه تحت إبطه ، وتابط سيفا أو شيئا أخذه تحت إبطه — ل ٩ — ١٢١ — ٦ من تحت "و"وأبّل الرجل بتشديد الباء وأَبَل : كثرت إبله ل — ١٣ — ٢ — ٢ من تحت " ، " والتأرض التثاقل إلى الأرض — ل ٨ — ٣٨١ — ١" و"ويقال أَتَّبتها تأتيبا فأتتبت هى أى ألبستها الإتب فلبسته ل — ١ — ٢٠٠ — ٢" و"ويقال آدمت الجلد بشرت أدمته — ل — ١٤ — ٢٧٦ — ١ " و" وجمع الإزار أُزُر، وأزرت فلانا إذا ألبسته إزارا ، فتأزّر تأزرا ل — ٥ — ٧٤ — ١١" و" وأَسِد الرجل استأسد صار كالأسد فى جراءته وأخلاقه — ل — ٤ — ٣٨ — ١٤ " و" وأَمَّتْ تَؤُمّ أمومة صارت أما

ل — ١٤ — ٢٩٥ — ٥" و "وآنثت المـرأة وهى مؤنث ولدت الإناث ل — ٢ — ٤١٧ — ٢ من تحت" و "واسـتأهل الرجل إذا ائتدم بالإهالة والمسـتأهل الذى يأخذ الإهالة أو يأكلها — ل — ١٣ — ٣٣ — ١٢ " . هذا ما يتسع له هذا الموجز، وفى الكتاب ما تضيق به المطولات .

المبحث الرابع — فى أن العرب اشتقوا من أسم الصوت، كما اشتقوا من اسم المعنى المصدرى، ومن اسم المعنى من غير المصادر، ومن اسم الذات؛ ففى الخصائص لابن جنى "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح ، وحنين الرعد ، وخرير ، المـاء وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبى، ونحو ذلك، ثم وُلِّدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندى وجه "صالح" ومذهب متقبل — الخصائص — ١ — ٤٤ — ١٨ " .

هـذا رأى بعض العلماء المتقدّمين فى أصل اللغات ، وهو رأى أئمة علماء اللغات فى العصر الحاضر من العرب والعجم ، أما أصول هـذه الأصوات فى اللغة العربية فثنائية ، خالية من اللين ، مثل طق ودق ، أو فيهـا لين لا يخرجها عن ثنائيتها ، مثل غاق وشيب . وقد تفرعت من هـذه الأصول الأفعال والأسمـاء الثلاثية فما فوقها بالزيادة ، غير أن علمـاء العربية المتقدّمين لم يُعْنوا برد أكثر الكلمات إلى أصولها ، فضاع أكثر هذه الأصول، وردها إليها الآن ممكن وإن كان فيه عسر ومشقة، وإليك بعض الأمثلة :

من الألفاظ التى تحكى بها الأصوات لفظ "صل" وهو حكاية صوت شىء يابس إذا حرك، وقد اشتق العرب منه الفعل الثلاثى (صلّ) للدلالة على هذا الصوت، فإن تكرر قالوا صلصل ففى اللسان " الليث : يقال صلّ اللجام إذا توهمت فى صوته

حكاية صوت (صل) فان توهمت ترجيعا قلت صلصل اللجام ، وكذلك كل يابس يصلصل ، وصلصلة اللجام صوته إذا ضوعف ، وحمار صلصل وصلاصل وصلصال ومصلصل : مصوّت ، قال الأعشى :

عنتريس تغدو إذا مسها الصو ت كعدو المصلصل الجوّال

وفرس صلصال حادّ الصوت دقيقه — ل ١٣ — ٤٠٥ — ٩".

وفيه " والصلصلة صفاء صوت الرعد ، وقد صلصل وتصلصل الحلى أى صوت . وفى صفة الوحى كأنه صلصلة على صفوان الصلصلة صوت الحديد إذا حرك ، يقال : صل الحديد وصلصل ، والصلصلة أشدّ من الصليل — ل — ١٣ — ٤٠٥ — ١٥".

ولما كان الصليل والصلصلة صوت الشىء الجاف اليابس إذا حرك ، وكان هذا الجاف اليابس مصدر هذا الصوت ، سمى الطين اليابس صلصالا لذلك ؛ وصلصال صفة من صلصل ، ففى اللسان " والصلصال من الطين ما لم يجعل خزفا ، سمى به لتصلصله ، وكل ما جف من طين أو خفار فقد صل صليلا ، وطين صلال ومصلال : أى يصوت ، كما يصوّت الخزف الجديد — ل — ١٣ — ٤٠٥ — ٨ من تحت" — وفيه "أبو اسحاق : الصلصال الطين اليابس الذى يصل من يبسه أى يصوّت . وفى التنزيل العزيز (من صلصال كالفخار) قال هو صلصال ما لم تصبه النار ، فإذا مسته النار فهو حينئذ خفار — ل — ١٣ — ٤٠٥ — ١ من تحت" .

وإذ كان للقطع صوت يحدث من انشقاق جسم ، سمى السيف القاطع صِلّا ، ففى اللسان "الأصلال السيوف القاطعة ، والواحد صل — ل ١٣ — ٤٠٦ — ١٠ من تحت" . وكذلك اشتق العرب اسم الحية من صوتها ، وهو صَل ، فسموها صِلا ، ففى اللسان "والصِل ، الحية التى تقتل إذا نهشت من ساعتها — ل — ١٣ — ٤٠٨ — ١٥".

وإذ كان الصـل صوت الشيء اليابس إذا حرك ، وكانت العرب قد سمت بعض مباعث هذا الصوت بأسماء مشتقة منه ، وكانت هذه المباعث من الأشياء اليابسة الشديدة الجافة ، فقد اشتقوا من "صل" الصمل بمعنى اليبس والشدة . ففى اللسان "الصمل اليبس والشـدة — ل — ١٣ — ٤٠٩ — ٨" واشتقوا من الصمل الصُّمُلُّ : للشديد الخلق من أشياء كثيرة ، وصرّفوا منه أفعالا ، ففى اللسان "والصُّمُلُّ الشديد الخَلْق من الناس والإبل والجبال ، والأنثى صُمَلَّةٌ . وقد صَمَل يَصمُل صمولا إذا صلب واشتد واكتنز ، يوصف به الجمل والجبل والرجل وقال رؤبة : عن صامل عاسٍ إذا ما اصلخما : يصف الجبل. والصُّمُلُّ ، الشديد الخلق العظيم ، واصمأَلَّ الشيء بالهمز اصمئلالا أى اشـتد . وفى الحـديث أنت رجل صمل بالضم والتشديد أى شديد الخلق ، واصمأَلّ النبات إذا التف ، وصَمَل الشجر ، إذا عطش نخشن ويبس — ل — ١٣ — ٤٠٩ — ٨" وفى معنى الشدة الصندل للشديد الخلق ، ففى اللسان " التهذيب : الصندل من الحمر الشـديد الخلق الضخم الرأس — ل — ١٣ — ٤١٠ — ٩ " وفى معنى الشدة اشتق صال يصول إذا سطا . ففى اللسان "صال على قرنه صولا وصيالا وصؤولا وصولانا وصالا ومصالة سطا — ١٣ — ٤١١ — ٦ — والمصاولة المواثبة ، وكذلك الصيال والصـيالة ، والفحلان يتصاولان أى يتواثبان : الليث : صال الجمل يصول صيالا وصوالا ، وهو جمل صؤول ، وهو الذى يأكل راعيه ، ويواثب الناس فيأكلهم — ل ١٣ — ٤١١ — ١١ " .

ومن حكاية الصوت "صل" اشتق الصَّحَل لُبحّة فى الصوت وليـدة حدته . ففى اللسان " والصَّحَل : حدة الصوت مع بحح — ل ١٣ — ٤٠١ — ١٥ — صحل الرجل بالكسر ، وصحل صوته يصحل صحلا ، فهو أصحل وصحل ، بح ، ويقال فى صوته صحـل أى بحوحه . وفى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وصفته أم معبد : وفى صوته صحل ، هو بالتحريك كالبُحة ، وألا يكون حادا . وحديث رقيقـة فإذا أنابهـا تف يصرخ بصوت صحل ، وحديث ابن عمر أنه كان رفع صوته بالتلبية حتى يصحل أى يبح — ل — ١٣ — ٤٠١ — ٩" .

ومن حكاية الصوت " صل " اشتق الصهيل لصوت الخيل، ففى اللسان "ابن سيده : الصهيل من أصوات الخيل صهل الفرس يصهل ويصهل صهيلا وفرس صهال كثير الصهيل . وفى حديث أم معبد "فى صوته صهل " : حدة وصلابة ، من صهيل الخيل وهو صوتها — ل — ١٣ — ٤١٠ — ٥ من تحت" وهذه الرواية تؤيد أن فى الصحل حدة وشدة .

*
* *

ومن الألفاظ التى تحكى بها الأصوات لفظ " قب " ففى اللسان " وقب قب حكاية وقع السيف — ل ٢ — ١٥٣ — ٣ من تحت " واشتق من قب هذا فعل ثلاثى للدلالة عليه ، فان تكرر هذا الصوت قالوا قبقب . وقد وردت هذه الأفعال للدلالة على أصوات مختلفة، ففى اللسان "قب القوم يَقبون قبا صخبوا فى خصومة أوتمار ، وقبّ الأسد والفحل يقبّ قبا وقبيبا إذا سمعت قعقعة أنيابه ، وقب ناب الفحل والأسد قبا وقبيبا كذلك : يضيفونه إلى الناب — ل ٢ — ١٥٠ — ٧ من تحت" واشتق منه فعل رباعى فيه معنى التكرار والترجيع ، ففى اللسان " وقبقب الأسد والفحل قبقبة : إذا هدر ، والقبقاب الجمل الهدار ، ورجل قبقاب وقباقب كثير الكلام أخطأ أو أصاب ، وقيل كثير الكلام مخلّطه ، وأنشد ثعلب : " أوسكت القوم فأنت قبقاب". وقبقب الأسد صرّف نابيه — ل — ٢ — ١٥٣ — ٥ — والقبقبة والقبيب صوت جوف الفرس ، والقبقبة والقبقاب صوت أنياب الفحل وهديره ، وقيل هو ترجيع الهدير — ل — ٢ — ١٥٣ — ٤ " .

ولما كان قب حكاية لصوت السيف إذا وقع وقطع ، استعمل قب فى معنى قطع ؛ ففى اللسان " وقبه يقبه قبا واقتبه قطعه ، وهو افتعل ل — ٢ — ١٥١ — ٤ — وخص بعضهم به قطع اليد ، يقال اقتبّ فلان يد فلان اقتبابا إذا قطعها ، وهو افتعال . وقيل الاقتباب ، كل قطع لا يدع شيئا — ل — ٢ — ١٥١ — ٧ " .

واشتق من قب قصب بمعنى قطع ، ففى اللسان " وقصب الشيء يقصبه قصبا واقتصبه قطعه والقاصب والقصّاب الجزار وحرفته القصابة ، فإما أن يكون من القطع ، وإما أن يكون من أنه يأخذ الشاة بقصبتها أى بساقها ل — ٢ — ١٦٨ — ٣ من تحت " ومنه اشتق قضب بمعنى قطع كذلك ، ففى اللسان " القضب القطع ، قضبه يقضبه قضبا واقتضبه وقضبه فانقضب وتقضب انقطع ل — ٢ — ١٧١ — ١٧"

واشتق منه قرصب بمعنى قطع ، ففى اللسان "قرصب الشيء قطعه ، والضاد أعلى ل — ٢ — ١٦٣ — ١٣ " وفيه " القرضبة شدة القطع قرضب الشيء ولهذمه قطعه ، وبه سمى اللصوص لهاذمة وقراضبة ، من لهذمته وقرضبته ، إذا قطعته . وسيف قرضوب وقرضاب ومقرضب قطاع . وفى الصحاح القرضوب والقرضاب السيف القاطع يقطع العظام ل — ٢ — ١٦٣ — ١٣ " .

ومن الألفاظ التى تحكى بها الأصوات لفظ "صخ" حكاية لصوت حادث من ضرب صخرة بصخرة ، وقد اشتق العرب من هذا الصوت الفعل الثلاثى صخ للدلالة على حدوثه ، ولم يرد من هذه المادة فعل رباعى يدل على التكرار والترجيع . فى اللسان " الصخ الضرب بالحديد على الحديد ، والعصا الصلبة على شيء مصمت . وصخ الصخرة وصخيخها صوتها إذا ضربتها بحجر أو غيره . وكل صوت من وقع صخرة على صخرة ونحوه صخ وصخيخ ، وقد صخت تصخ ل — ٤ — ٢ — ٣ " .

واشتقاق الصاخّة ، وهى الصيحة ، من هذا ، ففى اللسان " وقال أبو اسحاق الصاخّة هى الصيحة تكون فيها القيامة تُصخ الأسماع أى تُصمها فلا تسمع إلا ما تدعى به للإحياء ، وتقول صخ الصوت الأذن يصخها صخا ، وفى نسخة من التهذيب أصخ إصخاخا ل — ٤ — ٢ — ٧ " .

ومن حكاية الصوت "صخ" اشتق أصاخ بمعنى استمع وانصت ، ففى اللسان "أصاخ له يصيخ إصاخة استمع وأنصت لصوت . قال أبو دواد :

ويصـــيخ أحيانا كما اسـ تمع المضلّ لصوت ناشد

وفى حديث ساعة الجمعة "ما من دابة إلا وهى مصيخة" أى مستمعة منصتة ل — ٤ — ٤ — ١ من تحت".

والصخر نفسه وهو مبعث هذا الصوت "صخ" مشتق منه بإلحام الراء فيه ، ففى اللسان "الصخرة الحجر العظيم الصلب ل — ٦ — ١١٥ — ٨" وقد اشتقوا من الصخر أفعالا ومشتقات ، ففى اللسان "ومكان صخر ومُصخر كثير الصخر ل — ٦ — ١١٥ — ١٢"، ويدل على أن الصخرة من "صخ" ما جاء فى اللسان وهو "والصاخر : صوت الحديد بعضه على بعض —ل—٦— ١١٥ —١٣".

واشتقوا من "صخ" الصراخ ، وهو التصويت ، ففى اللسان "الصرخة : الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة ، وقيل الصراخ الصوت الشديد ما كان ، صرخ يصرخ صراخا — ل — ٤ — ٢ — ٢ من تحت — الصارخ المستغيث ، والمصرخ المغيث، والمستصرخ المستغيث أيضا . وروى شمر عن أبى حاتم أنه قال "الاستصراخ الاستغاثة والاستصراخ الاغاثة" — ل —٤—٣ — ٣".

ومن "صخ" اشتق الصخب ، وهو الصياح والجلبة ، ففى اللسان "والصخب الصياح والجلبة وشدة الصوت واختلاطه ، وفى حديث كعب فى التوراة "محمد عبدى ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب فى الأسواق" ، وفى رواية "ولاصخاب" . الصخب والسخب الضجة واختلاط الأصوات للخصام — ل — ٢ — ٩ — ٦ من تحت".

ومنه اشتق الصخد ، وهو من الأصوات : ففى اللسان "الصخد ، صوت الهام والصرد ، وقد صخد الهام والصرد يصخد صخدا وضحيدا ، صوّت ، وأنشد:

وصاح من الافراط هام صواخد" ل — ٤ — ٢٣١ — ١٣ ".

ومنه اشتق صماخ الأذن ، لأنه جزء من أداة السمع، التى تسمع الصوت المحكى بـ "صخ" ، وكذلك صملاخها ، ففى اللسان " الصماخ من الأذن الخرق الباطن الذى يفضى إلى الرأس ، تميمية ، والصماخ ، لغة فيه ، ويقال إن الصماخ هو الأذن نفسها — ل — ٤ — ٤ — ٣ — وصمخه يصمخه صمخا : أصاب صماخه ، وصمخت فلانا إذا عقرت صماخ أذنه بعود أو غيره — ل — ٤ — ٤ — ٨ " وفيه " الصملاخ والصملوخ وسخ صماخ الأذن ، وما يخرج من قشورها ، والجمع الصماليخ — ل — ٤ — ٤ — ١١ من تحت " .

*
* *

فانظر كيف زادت العرب كل صوت من هذه الأصوات حرفا وأكثر ، وصرفت منـه بهذه الزيادات صيغا من أفعال وأسماء مختلفة الأوزان ، مختلفة المعانى .

*
* *

البحث الخامس — فى أن العرب اشتقت من الحرف، كما اشتقت من الاسم. وهذا ما يقضى بالعجب العجاب . لقد اشتقوا أفعالا من بعض الحروف ، ومن الأفعال يمكن اشتقاق جميع المشتقات ، ففى الخصائص لابن جنى ما يأتى :

"فان قلت : فهلا كان "نعم ، وبجل" مشتقين من النعمة والنعيم ، والبجال والبجيل ، ونحو ذلك ، دون أن يكون كل ذلك مشتقا منهما ، قيل : الحروف يشتق منها ولا تشتق هى أبدا . وذلك أنها لما جمدت فلم تتصرف ، شابهت بذلك أصول الكلام الأول ، التى لا تكون مشتقة من شىء ؛ لأنه ليس قبلها ما تكون فرعا له ، ومشتقة منه ، يؤكد ذلك عندك قولهم : سألتك حاجة فلوليت لى أى قلت لى "لولا" فاشتقوا الفعل من الحرف المركب من (لو) و (لا) — الخصائص — ١ — ٤٣٦ — ٣ " .

وفى اللسان " سوف : كلمة معناها التنفيس والتأخير ، قال سيبويه : سوف كلمة تنفيس ، فيما لم يكن بعد ، ألا ترى أنك تقول سوفته : إذا قلت له مرة بعد مرة سوف أفعل ، ولا يفصل بينها وبين أفعل ؛ لأنها بمنزلة السين فى سيفعل . ابن سيده . وأما قوله تعالى " ولسوف يعطيك ربك فترضى " اللام داخلة فيه على الفعل ، لا على الحروف . وقال ابن جنى : هو حرف ، واشتقوا منه فعلا فقالوا " سوفت الرجل تسويفا " قال ، وهذا كما ترى مأخوذ من الحرف ، أنشد سيبويه لابن مقبل :

لو ساوفتنا بسوف من تجنبها سوف العيوف لراح الركب قد قنعوا

انتصب سوف العيوف على المصدر المحذوف — ل — ١١ — ٦٥ — ١١ — والتسويف التأخير من قولك سوف أفعل — ل — ١١ — ٦٥ — ٥ من تحت " .

وفيه " وعنعنة تميم " ابدالهم العين من الهمزة ، كقولهم "عن" يريدون "أن" وأنشد يعقوب :

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل لآخرة لا بد عن ستصيرها

(— ل — ١٧ — ١٦٨ — ١٢) ٩

الجيزة فى غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ هـ الموافق ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٣٤

عبد الله أمين